الفصل الثامن

العناية بسماع الحديث الشريف وضبطه

ويشمل الأبحاث الآتية:

١ ـ عدالة الصحابة ثابتة بالكتاب والسنة.

٢ ـ كلام حجة الإِسلام الغزالي في المستصفى.

٣ ـ ثناء الله تعالى على المهاجرين والأنصار.

obeikandl.com

obeikandl.com

العناية بسماع الحديث وضبطه

لقد كانت عناية أسلافنا ـ رحمهم الله ـ، بالحديث النبوي الشريف عنايةً بالغة الدقة، عظيمة الأثر، تفوق جميع العلوم، ذلك لأن السنة النبوية، هي العماد لفهم القرآن، وإدراك أسراره وأحكامه، وبدونها لا يمكن العمل بالقرآن، ولهذا نشطت جهود علمائنا إلى خدمة السنة المطهرة، حفظاً، ودراسة، وتمحيصاً، وبذلوا في خدمتها النفس والنفيس، فحفظوها وضبطوها ووعوها، وبلَّغوها كما وصلت إليهم، وقد كان نداء الرسولُ ودعاؤه حافزاً لهم على حفظها، وتبليغها للناس، ولا سيما بعد أن سمعوا قول رسول الله ﷺ: **«نضَّر الله امرءاً سمع منَّا شيئاً، فبلَّغه كما سمعه، فربَّ مبلَّغٍ أوعى من سامع»**[1].

وفي رواية أبي داود: **«نضَّر الله امرءاً سمع منَّا حديثاً، فحفظه حتى يبلِّغه غيره، فربَّ حاملِ فقهٍ إلى من هو أفقه منه، وربَّ حامل فقهٍ ليس بفقيه»**[2].

لذلك كانت جهودهم عظيمة، في خدمة الحديث النبوي الشريف، فقام الصحابة الكرام بأدب السماع منه، والإسماع عنه خير قيام، حتى لم تفتهم شاردة ولا واردة، فنقلوا لنا هديه الشريف ﷺ، ونقلوا لنا حركاته وسكناته، ولفتاته وابتساماته، واستوعبوا نقل كلِّ كلمة، وكل حرف، وكلِّ عمل، وكل قول، فإذا سمعت الحديث منهم، فكأنك تسمعه من فم النبي عليه الصلاة والسلام.

---

(١) أخرجه الترمذي ٤/ ١٤٢ وقال: حديث حسن صحيح، وقال المناوي في فيض القدير ٦/ ٢٨٤: رواه عن المصطفى ﷺ أربعة وعشرون صحابياً.

(٢) أخرجه أبو داود ٣/ ٤٣٨ وابن ماجه في المقدمة ١/ ٨٤.

عدالة الصحابة ثابتة بالقرآن والسنة

وينبغي أن نعلم أن أصحاب رسول الله كلهم عدول، بتعديل الله عزَّ وجلَّ لهم، ورضوانه عنهم بقوله سبحانه: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠] فهؤلاء الصحابة الكرام، اصطفاهم الله لصحبة نبيِّه ﷺ اصطفاءً، وانتخبهم من بين خليقته انتخاباً، ليحملوا الأمانة ويبلغوا الرسالة، فكانوا مصابيح للهدى والرشاد، يدعون إلى الحقِّ، ويهدون الناس، ويرشدونهم إلى طريق الخير والسعادة، كما وصفهم ربُّ العزة والجلال بقوله سبحانه:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وكما وصفهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فقال في شأن هؤلاء الصحابة الأطهار: «من كان مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحيَّ لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا أفضل هذه الأمة، أبرَّها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلَّها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حملاً.. قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيِّه ﷺ، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسَّكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»(١).

وروى الإمام أحمد في المسند عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «إنَّ الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه ﷺ يقاتلون عن دينه»(٢).

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢/ ٢٩٧ وأخرجه ابن الأثير في جامع الأصول ١/ ٢٩٢ عن ابن مسعود موقوفاً.

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي ١/ ١٧٨.

وروى الخطيب البغدادي عن الحافظ «**أبي زُرعة الرازي**» أنه قال: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديقٌ ـ أي خارجٌ عن الملَّة ـ وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حقٌّ، وما جاء به حقٌّ، وإنما أدَّى إلينا هذا القرآنَ والسُّننَ، أصحابُ رسول الله ﷺ، وإنما أرادوا أن يجرحوا شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة»[1].

كلام الإمام الغزالي في «المستصفى»:

وقال حجة الإسلام الإمام الغزالي في «المستصفى» عن عدالة الصحابة:

«الذي عليه سَلَف، الأمة، وجماهيرُ الخَلَف، أنَّ عدالة الصحابة معلومة، بتعديل الله عزَّ وجلَّ إياهم، وثنائه عليهم، في كتابه العزيز، فهو معتقدنا فيهم، فلا حاجة لهم إلى التعديل، قال الله تعالى فيهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى عنهم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقد ذكر تعالى المهاجرين والأنصار في عدة مواضع، وأثنى عليهم أحسن الثناء، وقال الرسول ﷺ: «**خيرُ القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثمَّ الذين يلونهم**...»[2].

والمراد بقرن النبيِّ ﷺ الصحابة الكرام، «ثم الذين يلونهم»: التابعون، «ثم الذين يلُونهم»: أتباعُ التابعين.

---

(١) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص٤٩.

(٢) أخرجه البخاري في الشهادات ٥/ ١٩٠ ومسلم في فضائل الصحابة رقم ٢٥٣٥ وتتمة الرواية «ثم إن بعدهم قوماً يَشْهدون ولا يُسْتَشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يُوفون، ويظهر فيهم السِّمَنُ».

وقال ﷺ: «لا تسبُّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أنَّ أحدكم أنفق مِثل أُحدٍ ذهباً، ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»[1].

ومعنى الحديث: أن الواحد منَّا لو أنفق من الذهب مثل جبل أحد، ما يصل في الأجر إلى ما يصل إِليه، من تصدَّق من الصحابة، بمقدار الصاع أو نصف الصاع، من البُرِّ أو التمر.

فأي تعديلٍ أصحُّ من تعديل علَّام الغيوب سبحانه؟ وتعديل رسوله المصطفى ﷺ؟ كيف ولو لم يرد الثناء عليهم، لكان فيما اشتهر وتواتر من حالهم، في الهجرة والجهاد، وبذل المُهج والأموال، وقتل الآباء والأهل، في موالاة رسول الله ﷺ ونصرته، كفايةٌ في القطع بعدالتهم»[2] اهـ.

ومن هذه الشهادة الربانية، وشهادة المصطفى ﷺ لهم بالخيريَّة والفضل، يتَّضح لنا عدالة الصحابة، وأنهم كلهم ثقات عدول، فتُقبل روايتهم دون تردُّد، ودون بحثٍ عن أحوالهم وأقوالهم، فكفى بشهادة الله لهم شهادة!!

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٥٤٠ في فضائل الصحابة.

(٢) المستصفى للغزالي ١/ ١٦٤.

obeikandl.com